جماليات اللُّغة الشِّعرية وخصائصها في الخطاب الشعري الإماراتي الحديث
-ديوان «العـناقيد» لسيف المري أنموذجاً-

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقـة جامعة عنابة -الجزائر

الملخص:

يعد الشاعر الإماراتي سيف المري أحد أبرز الشعراء الذي عرفتهم دولة الإمارات العربية المتحدة في العصر الحديث، فهو صوت شعري متميز،إنه واحد من رواد الاتجاه الوجداني الرومانسي،وأحد أبرز شعراء الغنائية الوجدانية الجديدة في الخليج العربي،ويعد من أشرق الوجوه الشعرية التي أسهمت في إثراء الحركة الأدبية، والإعلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة،فهو يجمع بين الإبداع الشعري، والقصصي،والكتابة الصحفية.

وتهدف هذه الدراسة الموسومة ب: «جماليات اللغة الشعرية وخصائصها في ديوان(العناقيد)لسيف محمد المري »،إلى تقديم دراسة تحليلية في مجموعة من أشعاره المتميزة، من خلال ديوانه الشعري الثاني الموسوم ب: «العناقيد»،وقد أصدره عام:2004م.

وقد توقفت في هذه الدراسة مع عدة قضايا دقيقة تتصل بالكون الشعري عند سيف المري،والذي يتسم بالرحابة، والاتساع،و يتمحور بين تصوير العاطفة، والوجدان،وتصوير الحب، والجمال، وأغلب قصائده تتوزع بين الرومانسية الذاتية، والرومانسية الإنسانية،وقدمت مجموعة كبيرة من النتائج التي تتصل بالخصائص الفنية لشعر سيف المري من خلال ديوان(العناقيد) . وقد قامت الدراسة على تقسيم الموضوع إلى ما يأتي :

-مقدمة

أولاً: مدخل إلى عالم الشاعر سيف المري.

ثانياً:خصائص اللغة الشعرية عند سيف المري من خلال ديوان(العناقيد).

ثالثاً : نتائج الدراسة(الخصائص الفنية لشعره).

الكلمات المفتاحية: الخصائص، الخطاب، المري، الشعري، سيف.

Abstract:

Emirati poet Saif al-Marri is one of the most prominent poets of the modern era in the UAE. He is a distinguished poet. He is one of the pioneers of the romantic emotional trend. He is one of the most famous poets of the new song in the Arabian Gulf and one of the brightest poets who contributed to enriching The literary and media movement in the United Arab Emirates combines poetic creativity, fiction and journalism.

This study, entitled "The aesthetics of poetic language and its characteristics in Saif Mohammed Al-Marri", aims to present an analytical study in a collection of his distinguished poems through his second poetry book, Al-Anabid, published in 2004.

In this study, I have stopped with a number of delicate issues related to the mystical universe of Saif al-Marri, which is characterized by spaciousness. It concentrates between the depiction of emotion, conscience, the depiction of love and beauty, and most of his poems are divided between self-romance and human romance. Which relate to the technical characteristics of Saif al-Marri's poetry through the Diwan (the clusters). The study divided the subject into the following:

- an introduction

First: Introduction to the world of poet Saif al-Marri.

Second: Characteristics of the poetic language at Saif al-Marri through the Diwan (cluster.(

Third: The results of the study (technical characteristics of his hair.(

Keywords: Characteristics, Discourse, Marri, Poem, Saif.

مقدمة:

الأديب الإماراتي سيف محمد المري صوت شعري متميز ،إنه واحد من رواد الاتجاه الوجداني الرومانسي،وأحد أبرز شعراء الغنائية الوجدانية الجديدة في الوطن العربي،ويعتبر من أشرق الوجوه الشعرية التي أسهمت في إثراء الحركة الأدبية، والإعلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة،فهو يجمع بين الإبداع الشعري، والقصصي،والكتابة الصحفية.

ولد الشاعر سيف المري بإمارة دبي،وأكمل تعليمه الجامعي سنة:1984م تخصص علم النفس،وانتقل إلى العمل في الصحافة ابتداءً من سنة:1985م،وانتسب إلى عدد من دورات إدارة المؤسسات الإعلامية في جامعة سيركيوز بالولايات المتحدة الأمريكية،كما شارك في العديد من الأمسيات، والندوات الشعرية داخل الإمارات وخارجها،ومثّل بلاده في الكثير من المناسبات الشعرية والثقافية،كما أسهم في تأسيس ندوة الثقافة والعلوم بدبي،إضافة إلى عضويته في مجموعة من المؤسسات الثقافية،والمجلات الإماراتية،وقد عمل مديراً لتحرير صحيفة: «البيان»،كما تولى منصب مدير عام مؤسسة«دار الصدى للصحافة»،وقد صدر للشاعر ديوانه الشعري الأول تحت عنوان:«الأغاريد»سنة:2001م،وأما ديوانه الثاني فهو موسوم ب: «العناقيد»،وقد أصدره عام:2004م،إضافة إلى مجموعة قصصية موسومة ب:«رماد مشتعل»صدرت سنة:2006م.

أولاً:مدخل إلى عالم الشاعر سيف المري:

يتسم الكون الشعري عند سيف المري بالرحابة والاتساع،و يتمحور بين تصوير العاطفة، والوجدان،وتصوير الحب، والجمال، وأغلب قصائده تتوزع بين الرومانسية الذاتية، والرومانسية الإنسانية،وقد تنوعت الدراسات التي أنجزت عن شعر سيف المري في رؤيتها لشعره،حيث يصفه الشاعر اللبناني شوقي بزيع بشاعر الغنائية الوجدانية الجديدة.

ويرى الأستاذ الناقد خليل الجيزاوي أن سيف المري أحد أهم شعراء«الاتجاه الوجداني الجديد الذي لا تتوقف قصائده عند الدوران أو التحليق حول التجربة الذاتية الخالصة،لكنه يخرج من هذا الإطار الضيق؛ليعبر عن أحلامه القومية المنكسرة التي يُجسد من خلالها مأساة فلسطين الجريحة، واحتلال بغداد حاضرة العروبة،نعم هو شاعر متميز مجدد لقصيدة العشق العذري تذوب قصائده رقة للمحبوب،ترصد تمنعه ومراوغات حواء الدائمة.

تطرب لسماعه، في ديوانه الأول«الأغاريد»نراه يحلق في سماء الرومانسية الحالمة حيث الدلال،والغرام،والصدود،فيكتب عذب القصيد،لكن في ديوانه الثاني«العناقيد»فقد صقلته التجربة الشعرية وشفت اللغة الشاعرية؛لتقترب أكثر من مشهدية القصيدة

البصرية،فجاءت الصورة الشعرية ناطقة بالكثير من المشاعر، والأحاسيس الإنسانية النبيلة»(1)،فقصائده وسيلة للإشباع التعويضي للتعبير عمّا يحس به من حالة اغترابية،لاسيما أن الكون الشعري هو الإمساك بلحظات اكتشافنا للمسرات، أو العذابات، ويظهر لنا الشاعر موزعاً بين الذاتية الحسية، والواقعية الحية، ولاسيما عندما يكون بصدد طرح قضية عامة تعالج واقع الأمة العربية والإسلامية،ويُمازج بين الرومانسية الذاتية الحالمة، والرومانسية الإنسانية«وهذا عبر مجموعة من الثنائيات الضدية المعبر عنها–في الغالب–بنوع من التلقائية ممّا جعل كلماتها حية متدفقة كأنها موجة أو حركة،كل عنصر فيها يتواكب، ويلتحم مع سواه، وكأن الكلام فيها يفتح بعضه بعضاً على حد تعبير ابن رشيق»(2).

وتتميز نصوص الشاعر بخاصية بارزة تتمثل في انتقاء المفردات من التراث التليد،والممازجة بينها وبين اللغة السائدة في هذا الزمن بغرض تحقيق تواصل سليم مع القارئ،دون إهمال الجانب الجمالي،فهو يوظف الكثير من المفردات المتداولة في شعرنا العربي القديم،وقد أحسن توظيفها بطريقة جمالية بديعة،و عرفت نصوصه عدة تحولات وتطورات،ومعظمها يقوم على الأفكار، وتداعيات الأفكار،وكثيراً ما يعتمد الشاعر على جملة من الجماليات، والقيم التي يفوح منها عطر الموروث الشعري العربي من خلال جملة من الجوانب،والعناصر الموظفة،وهذا ما يبرز في صوره الشعرية المستوحاة في أغلبها من تجربة عمالقة الشعر العربي القُدامى،و أغلب قصائده تعتمد نظام القصيدة العربية الكلاسيكية المبني على نظام الشطرين،وتنضوي تحت لواء البحور الخليلية،باستثناء بعض القصائد المرتكزة على أسلوب الشعر الحر،وذلك على خلاف عدد كبير من شعراء هذا الزمن الذين لديهم رغبة ملحة في الخروج عن الكثير من التقاليد والقوانين المتحكمة في شعرنا العربي القديم، بغرض خلق نص شعري جديد يستجيب لمتطلبات العصر،وفقاً لما اصطلح عليه بالتجربة الحداثية...

ويبدو أن نزوع سيف المري إلى الشعر الموزون المقفى،وتمسكه بالبحور الخليلية نابع من رؤية خاصة، وهو من باب تفضيله للقصيدة العربية القديمة،وحرصه على إيقاع، و موسيقى الشعر العربي،فلم ينسق وراء الأشكال الأخرى المتأثرة

بالتجربة الغربية،ويعود بشكل رئيس إلى ثقافة الشاعر التراثية،وهذا ما عبر عنه في حوار أجرته معه الأديبة غالية خوجة بقوله:«من وجهة نظري الشخصية الشعر له إيقاع، وموسيقى، وجرس،وإذا ابتعد عن موسيقاه صار نثراً ونصوصاً،لا أستطيع أن أعتبر الكلام الخالي من الإيقاع شعراً،كل كلام خارج المألوف شعر،لكن ليس خارج التفاعيل،ليس لي موقف من قصيدة النثر،لكنه إحساسي،وفي اعتقادي الشعر شعر،على كل الأحوال أنا شاعر، ولست بناقد،لذلك لا أعتقد أن هناك قصيدة نثر، وأعتبرها نصاً إبداعياً»(**).

ويشير الأستاذ الشاعر شوقي بزيع إلى أن موهبة الشاعر سيف المري«تتجلى واضحة لا من خلال تمكنه من تطويع البحور، وتموجاتها الإيقاعية اللامتناهية فحسب،بل من خلال حقن الكثير من القصائد بأمصال جديدة تتبدى فيها قدرته على تطعيم القديم بصور، ومفردات، ومقاربات مختلفة ،وغنية ،بما يسمح لنا أن نضع هذه القصائد في خانة ما يمكن تسميته بالكلاسيكية الحديثة،وهو ما تمثله قصائد مجموعة«العناقيد» على وجه الخصوص،تبدو قصائد المجموعتين الأولى والثانية: «الوله»و«الأغاريد»متداخلتين على المستوى الزمني،بحيث نقرأ في الأولى بعض ما ينتمي إلى حقبة الثمانينيات من القرن الفائت، ونقرأ في الثانية أعمالاً أكثر قدماً تنتمي إلى حقبة السبعينيات،وهو أمر يشير إليه الشاعر بنفسه،ويدل بالغ الدلالة على تردد سيف المري في إصدار أعماله،وتبويب قصائده وفق سياقها الزمني التسلسلي، وعلى القلق المقيم داخل الشعراء الحقيقيين، وهم يجازفون بنشر مكابداتهم، وأعمالهم على الملأ»(3).

ويصفه الأستاذ واصف باقي بأنه«شاعر متدفق العطاء،هادئ الانفعال،قلمه يقتنص عجائب الحب، وغرائبه،ويصف بدقة، ووضوح،ما يعتمد في خاطره،ويدور في ذهنه، ويكرس مشاعره،ويشخص بدقة كل الحالات التي يمر بها المبدع،وهو يدور في فلك النصف الحلو،ويحلق في آفاقها،يستمر في الأحزان،ويقتات من حديقة الحب أشعاراً وارفات الظلال،لا يأبه للأشواك وهو يستحث الخطى ليقطف زهرة الحب،فبالحب عنده يحيا الإنسان بسلامة، وأطياف، وأمان...» (4) .

إن شعر سيف المري يزاوج في لغته بين الرقة والعذوبة التي تبلغ حد الليونة،ونجد الشاعر في الكثير من قصائده يتوسل بصور فنية ساحرة،منها ما هو رمزي حديث للتعبير عن قضاياه الشعرية وهو قليل،وأكثرها مما هو بلاغي قديم ،وقد نجح الشاعر نجاحاً باهراً في توظيف الكثير من الأدوات الفنية فأضفت لمسات جمالية،وساهمت في تجلية المعاني،وتدعيم الرؤية الشعرية،واتحدت الصور الشعرية ،والرمزية،وتكاملت في نسق دلالي واضح، وقدمت مجموعة من الصور الجمالية، والفنية البديعة،ووفقاً لرؤية الأستاذ عبده وازن فمفردات قصائد الشاعر سيف المري ذات دلالات بينة،وهي قادرة على تشكيل معجم قائم بذاته،والأبعاد التي يوحي بها معجمه الشعري تسمح بإدراج تجربته«في خانة الرومنطيقية ذات الطابع الخاص، الرومنطقية التي تتقاطع فيها نزعات شعرية عدة كالغنائية، والوجدانية،والتأملية،وقد تآزرت جميعها لتصنع هذا النسيج الشعري الذي يكون فيه الشكل انعكاساً للمضمون،ولا يكون المضمون إلا العمق الذي ينبثق الشكل منه،غير أن الشاعر المأخوذ بالبعد الوجداني للفعل الشعري لم يهمل البعد الفني أيضاً،فهو على ما بدا نجح في الموازاة بينهما بدقة، ووعي،فإذا القصيدة تجسد اللقاء الحقيقي بين الحالة الوجدانية والصنعة المرهفة،بين العفوية أو التلقائية الطالعة من صميم المعاناة والصبابة،والدربة أو المراس اللذين اكتسبهما الشاعر من خلال دأبه الدائم على الصنيع الشعري،ومن خلال ثقافته الشعرية وذائقته،فالشاعر هو بلا شك سليل المدرسة النهضوية التي ارتقت بالقصيدة الكلاسيكية الحديثة أو ال(نيو–كلاسيكية)إلى أوج تجليها الجمالي،مثلما هو سليل التراث الشعري العربي الذي شكل الأديم الأول للشعرية العربية التي تجلت عبر العصور،ولم يخف الشاعر تأثره بهاتين الشعريتين،التراثية والنهضوية اللتين أفاد منهما كل الإفادة ليكتب قصيدته ويعبر عن الأحوال التي تضطرم في طويته،وليمارس تجربته اللغوية والإيقاعية.

سيف المري شاعر رومنطيقي بامتياز،لكن رومنطقيته منبثقة من صميم الشعرية العربية،ومن قلب المعاناة الذاتية والوجد،إنها وليدة التأمل الهادئ في القضايا الكبيرة التي ما برحت تشغل الشعراء منذ العصر الجاهلي وما قبل،حتى العصر الراهن.قضايا أزلية تظل أبداً عصيّة على العقل مهما حاول أن يُضيئها.لكن الشعر

وحده قادر على الدنو منها عبر الحدس الذي يملكه الشاعر،والذي يتيح له أن يوغل في الما وراء،في الذات العميقة التي تختزن أسرار الكينونة،هكذا يميل الموقف الشعري لدى سيف المري إلى مرتبة المثال،يحاكيه ولو أدرك الشاعر في قراراته أن الحياة ضرب من الوهم،الوهم الذي هو الخيال، والذي هو السعادة، والحلم مثلما هو الحقيقة نفسها»(5).

وأنت تقرأ شعر سيف المري تقرأ شعراً عاطفياً فيه وجدان،وشوق،وحب، وشجن،مثلما تقرأ شعراً وطنياً فيه وفاء وإخلاص،وذوبان في وطنه الإمارات العربية المتحدة،وفيه حماسة،وغيرة،وحزن على الأمة، وديارها،وتقرأ شعراً فيه حماس الشباب وتوثّبه ،وصدق تطلعاته، وآماله،والقارئ بقدر ما يتمتع بالقصيدة، تستهويه الأفكار النابعة منها،إذ تتضمن الكثير من قصائد الشاعر رؤى فلسفية معمقة،وهي ذات ثقل فلسفي حكمي،وتحتوي على أبعاد أخلاقية قيمة.

إن الولوج إلى عالم سيف المري الشعري ليس بالأمر السهل،وهذا لا يعود إلى غموض شعره فشاعرنا لطالما يؤكد على عدم استعصاء قصائده على الفهم،ويشدد على اقترابها من الذائقة العامة،ولكن نظراً لاتسام النص الأدبي عموماً بالزئبقية،وقابليته لجملة من القراءات،والتأويلات،ونحن مضطرون في التحليل إلى شيء من التأويل، والحدس،والشعر لا يُفهم كنهه كالنثر من حيث الوضوح،والثقة الوادعة،وهو في أصله مدعاة للتأويل،ذلك لأن«قراءة النص هي ولادة جديدة له،فما نقرؤه ليس سوى نص محتمل للقراءة، والكتابة،فالنص الشعري هو محطة محتملة للانكتاب والانقراء، ومقروئية النص الشعري، أو أي نص آخر،ربما هوية مجازية والتماس سلالة مهاجرة من نصوص خفية، وظاهرة قبل النص، وبعد النص،بين القبل والبعد،فقراءة النص فتنة، وكتابته فتنة،غير أن فتنة القراءة هي فتنة الغواية،فتنة الإيقاع بالقارئ المحتمل في شرك الكتابة،فتنة الإلقاء به في متاهات القراءة،لذا،فقد عُدَّ القارئ مُبدعاً ثانياً»(6).

من هذا المنطلق فإن مقاربتنا لشعر سيف المري هي نوع من المغامرة غير المحسومة النتائج،وغرضنا منها هو محاولة الاقتراب من الكون الشعري لهذه التجربة،ومحاورة عوالمها،وتجلياتها الشعرية عبر بعض مداراتها الجمالية،كما نسعى

إلى تسليط الضوء على فنون شعر سيف المري،وذلك من خلال تطرقنا إلى أهم المواضيع التي عالجها في قصائده عن طريق الوقوف على المحمولات الدلالية لتلك القصائد،ونستجلي من خلالها بعض الخصائص الفنية التي تطبع شعره،كما نتطرق في هذه المقاربة إلى الرؤية الشعرية، من خلال محاولتنا أن نتعمق مع بعض الأفكار، والرؤى التي حوتها قصائد الشاعر التي اتخذناها كنماذج للتدليل على قيمه الفنية، والجمالية،فلا يمكن للدارس أن يُغفل الرؤية المتحكمة في هذه القصائد البديعة،وختمنا قراءتنا بخاتمة عرضنا فيها أهم الملاحظات المتعلقة بالخصائص العامة لشعر سيف المري.

وأعترف أنني كنت متهيباً في بداية الرحلة ،وقبل الدخول إلى كون سيف المري الشعري،غير أن متعتي كانت كبيرة وأنا ألج عوالم أغاريد،وعناقيد سيف المري الساحرة،وكلما سبحت في فضائه الرحب،وتأملت هذه الظاهرة الشعرية المتفجرة، والمزدحمة بالصور، والأنغام، والألوان،ازداد إعجابي، وتعلقي بهذه التجربة الفذة، والمتميزة، والمختلفة عن السائد في الساحة التي تنزع أغلب التجارب فيها إلى تقليد النمط الغربي،فسيف المري يُقدم لنا نفحات من الأصالة العربية كما عبر عن ذلك الناقد سامر أنور الشمالي...

ثانياً: خصائص اللغة الشعرية عند سيف المري من خلال ديوان(العناقيد):

نُلفي في شعر سيف المري معظم الأغراض، والفنون الشعرية المعروفة عند الشعراء العرب القُدامى والمُحدثين كالغزل،والمدح،والرثاء،والشعر الوطني،والاجتماعي،وحضور هذه الأغراض من حيث الكم يختلف، فالقصائد ذات المضامين الوجدانية،والتي يظهر فيها الوجدان العاطفي،الذي يأخذ توجهات ذاتية،وفي كثير من الأحيان يطبعه الشاعر برحيق رومانسي هي التي نالت حصة الأسد في ديوانيه الصادرين(الأغاريد والعناقيد).وقصائده تتراوح بين الاهتمام بالهموم والقضايا الإنسانية الفردية والجماعية،و تُلفي في بعض القصائد انتقالاً،وتغيُراً في الخطاب من الذات إلى الجماعة،حينما ينتقل إلى التعميم،ويُحلق بنا إلى رومانسية إنسانية شاملة. ولا ريب في أن التجربة الشخصية والذاتية تظلُ منفتحة على الإنسانية،فليست التجربة الذاتية محكومة بحبال الشاعر، ومرتبطة بمنطق عواطفه،بل إن القارئ يرى فيها

كذلك عواطفه، وذاته مجسدة فيتجاوب معها، وينساق مع عوالمها، وكأن الشاعر مبدع تلك القصيدة لذا إبداعه لعمله لم يفكر في نفسه وحسب،بل إنه كان يُعبر عن تجارب الآخرين، وهواجسهم، ويسعى إلى نقلها بأمانة ودقة متناهية،ومن ثمة فإن التداخل موجود،فالنزعة الذاتية هي ذات نزعة إنسانية عامة. وكما أشار الناقد الجمالي كروتشيه:«فالتجربة الذاتية وإن صدرت عن وجدان خاص،إلا أنها تحمل في الوقت نفسه مقومات الموضوعية،لأن الشاعر يجعل ذاته مصدر الموضوع،فكأنه يحملها على كفّه،ويضعها أمام فكره،ليسبر أغوارها،ويُقلب النظر في جوانبها،فتعبيره ذاتي في نشأته، ولكنه موضوعي في عاقبة تعبيره،وهذا التعبير الذي طالعه الشخص في مرآة نفسه،ذاتيّ من ناحية أنه صوّر مشاعر صاحبه، وموضوعيّ من ناحية أنه جعل ذاته موطن الموضوع،ومحتوى المادة، فكأنه شخّص عاطفة الفرحة،أو انفعال المرارة التي انعكست على نفسه من أدواء المجتمع»(7).

في ديوانه الثاني الموسوم ب:«العناقيد» يشير الأديب سيف المري في مقدمته المعنونة:«لماذا العناقيد؟»إلى أن هذا الديوان ليس امتداداً لسابقه،بل إنه حاول أن يعرض فيه قصائد جديدة لرؤى مختلفة، فتجربة الشاعر سيف المري تتسم بالثراء ،والتنوع،والنماء، والتطور، وهذا ما يُلاحظه الدارس عندما يقارن بين مجموعته الأولى:«الأغاريد»،والمجموعة الثانية:«العناقيد»،ولاسيما على مستوى الرؤية الشعرية التي تتبدى للقارئ في الديوان الثاني، وقد عبر الأديب سيف المري عن ذلك بقوله في تقديمه للديوان:«هذا الديوان ليس امتداداً لسابقه،بل حاولت فيه أن أعرض قصائد جديدة لرؤى مختلفة،والعناقيد كما أراها تحتاج إلى عاصر يبحث في خابيتها،وإذا كانت لغة الشعر قادرة على التعبير،فإن أول ما يُقرّبها إلى الناس هو عدم استعصائها على الفهم،واقترابها من الذائقة العامة،ورب قائل يقول:إن أعمار هذه القصائد قريبة من قصائد الديوان الأول...،ولكن في رأيي أن لغتها مختلفة، وألوانها مختلفة؛فتلك الأغاريد تُسمع،أما هذه فتُذاق،والثانية أقرب من الأولى..،وأنا عزيزي القارئ، أحاول أن اقترب منك أكثر، وأتمنى في هذا الديوان أن تكون الصورة أقوى نطقاً، والمشهد أجلى وضوحاً،وإن كانت بعض القصائد قديمة قدم الصبا فإنها،في

رأيي،صالحة للنشر،ولا يضيرها قدمها،فهي في دنان الأوراق،وقد عُتقت حتى ذهب بعض رسم حروفها...» (8).

وقد حوى الديوان أكثر من ثلاثين قصيدة مزج فيها الشاعر بين الواقعية، والرومانسية في تناغم يحمل من الجمالية الشعرية ما يجذب القارئ إليه ،وقد صيغت بلغة رقيقة، وسلسة ،تتجلى عذوبتها في اعتماده الأسلوب الواقعي المباشر فينة، والأسلوب المجازي فينة أخرى،كما بدت بعض القصائد مشحونة بالتأويلات،ومليئة بالاستعارات، والأحاسيس المُرهفة،إضافة إلى استعماله باقة ثرية من الإيحاءات، والرمزيات المختلفة، التي تبرز بشكل واضح من خلال مجموعة من القصائد،ويكتشفها القارئ في عناوين القصائد.

وبالنسبة إلى تطور أسلوب الشاعر في مجموعته الثانية،فالأستاذ شوقي بزيع يرى أن مجموعة:«العناقيد» شكلت نقلة حقيقية في أسلوب الشاعر،وكذلك في مقاربته لموضوعاته، ورؤاه،وليس هذا بسبب أن:«العناقيد» قابلة لأن تتذوق من أجل قرائها فحسب، كما عبر الشاعر في تقديمه لها،بل لأنها :«تُقدم للتجربة اقتراحات، وحقولاً جديدة تتجاوز المناسبة الظرفية ،أو التصدي النمطي لموضوعات الحب، والرغبة، والطبيعة ،لتلمس حضورها من خلال الاستبطان، والتقصي،وإثارة الجوانب الخفية من الموجودات»(9). وهذا ما تجلى من خلال مجموعة من قصائده من بينها قصيدة: «التمثال»،وهي أول قصيدة حواها الديوان،وقد اعتمدت تصويراً دقيقاً شبيهاً بالتصوير السينمائي،و أجاد الشاعر سيف المري أيما إجادة في الوصف،وقدم رؤى عميقة تلاحمت في كل متكامل، ومتناسق،حيث يقف الشاعر وقفة تأمل أمام تمثال،ويغوص بنا في عوالم تعج بالمتناقضات،من خلال إسباغه صفات إنسان خاض في حياته جملة من التجارب المريرة،ومن خلال تجاربه التي بدت فيها ذاته مؤرقة تتجرع طعم الأسى،طفق الشاعر يتساءل بصيغة الماضي عن ذلك التمثال الصامت، وكأنه إنسان حي يسمع كلام الشاعر،ويدرك كنهه،فهو يتحدث في قصيدته هذه عن تجربة تأملية فكرية مبعثها رؤيته لذلك التمثال الذي لا يحرك ساكناً،وعندما رآه الشاعر استثاره، وشذ انتباهه ،فقرر أن يصفه بدقة، ويتساءل عنهُ مُسبغاً عليه صفات إنسان يحس، ويشعر، و يبوح من خلال تلك الأسئلة

بهواجسه، وأشجانه،فجمع في قصيدته بين خصائص الشعر التأملي، وسمات شعر الطبيعة، والوصف،وتبدى الجانب التأملي في صلب التجربة ،والإحساس،والجانب الرومانسي في الصور التي حملت التجربة،وحرّكت الإحساس،وقد صورت لنا أسئلة الشاعر عن التمثال نفسية الإنسان العاشق المكلوم بصيغة الماضي،وعبّر لنا عن شتى الأحزان التي تُساوره،وتؤرقه،وقد استطاع تصوير حقائق نفسية الإنسان بصورة معمقة مُبرزاً الهواجس الداخلية،مُتجاوزاً المظاهر الخارجية للأشياء،بل نافذاً من خلالها إلى تلك الحقائق،وبرع في تقديم رؤية إنسانية رقيقة،بفضل تمكنه من الجوانب الفنية:

جمدتْ أوصاله في قوةٍ
لا يُبالي أيَّ خطْبٍ يَقَعُ
لِبْسُهُ في العُمرِ لِبْسٌ واحِدٌ
فهو ثوبٌ خالِدٌ لا يُنزَعُ
ما درى حين العذارى حولهُ
أيَّ حُسنٍ حولهُ يجتمعُ
وخريرُ الماءِ عن معزَفِهِ
نابَ لما مدَّهُ يرتفعُ
هُو منْ صخرٍ فلو ذاقَ الهوى
لَجَرتْ مِنْ مُقلتيه الأدمُعُ
ولأحيا الشوقُ في أوصالِهِ
خَلَجاتٍ ليس عَنْها مَنْزِعُ
ذابَ وجداً لو درى الوجدُ بِهِ
وقلاَهُ الهاجِرُ الممتنعُ
وسَمَا طيفٌ له يُؤْنِسُهُ
حينما الأعيُنُ عنهُ هُجَّعُ
ولأعياهُ والى حزنَهُ
خفقُ ما ضُمَّتْ عليه الأضْلُعُ(10).

وتنطلق قصيدة:«الظل الخادع»من منبع إحساس الشاعر في الليل بذكريات الطفولة،فيلتحم بأجوائها، ويمتزج بها شعورياً، وفكرياً، ويضمنها آماله، وآلامه، وأشجانه:

مُنذُ أيام الصبا وهي معي
سكنتْ صورتُها في أضلعي
كُلّما الليلُ بنى أسوارهُ
زارني منها رسولُ البِدعِ
قِيلَ لي:وهمٌ تعلقتَ به
لا أعيه حُبَّ لي أن لا أعي
هيَ روحٌ كُلّما أوشكتُ أن
أتَلقّاها مَضَتْ من مخدعي
قَرُبَتْ وصفاً كصُبحٍ لم يَحِنْ
أو كرؤيا قمرٍ لم يَطْلُعِ (11).

وقد اتسمت قصيدته باتساع مساحتها الفكرية، والشعورية،وقابليتها لجملة من التفسيرات،و ختمها بالإفصاح عن شجنه العميق،ووصفه لرحيل المحبوبة التي نشأت بينهما المودة منذ الصبا،وما تركه فيه من فراغ رهيب:

عادني منها الذي عوّدني
أنْ يوافيني ولم يَسْتطِعِ
قلبُها عندي وروحي عندها
وأناديها ارجِعي هيَّا ارجِعي
لَعِبتْ بعدي بها ريحُ النّوى
ومضى رَكْبُ الزّمانِ المُسْرِعِ (12).

والحق أن الشاعر المتميز سيف المري استطاع في الكثير من قصائده أن ينقلنا إلى عوالم داخلية نقلاً مُشعاً، وقوياً مؤثراً،حيث إن الأدوات الفنية التي يوظفها في تصويره لها قدرة على وضع رقعة الظلال التي تسبح فيها أفكاره وانفعالاته في زاوية خاصة تستلب اهتمام القارئ،وتأخذ بلبه،وقد بدت لنا الكثير من

القصائد منسابة، كأنها كتبت نفسها بنفسها، واتسمت ببراعة التصوير، وهذا ما يلاحظه القارئ في أغلب قصائد ديوان:«العناقيد»،يقول الشاعر في قصيدة «المُعنّى»:

زَادَهُ جالِبُ الهموم اشتياقا
نالَ مِنهُ الذي عَن الوصفِ فَاقَا
مُنتهى أَمْرِهِ انتظارٌ وَصَبرٌ
ليتَهُ للنّوى المبَرّحِ طاقَا
لا يُبالي أَأَصْبَحَ الصُّبْحُ أمْ
ضَربَ اللّيل ذو السكون الرُّواقَا
خلجَاتُ الهوى بِعيْنيهِ تُنْبِي
أنَّ داءَ الهوى يَشُدُّ الخِناقَا
صَيَّرتْهُ الأشواقُ طيفاً خفِيَّاً
سَفَحَ الوَجْدُ دَمْعَهُ وَأَراقا
شَرِبَتْ رُوحُهُ من الوَجْدِ كأساً
كَمْ تَمنَّى من سُكْرِها لو أفَاقا(13).

إن الشاعر سيف المري من خلال هذه الأبيات يُبهرنا بلوحة تصويرية دقيقة للخلجات النفسية التي يُعاني منها: «المُعنّى» فتتجسد للقارئ حركاته، وهواجسه، وطباعه النفسية كأننا نراه أمامنا،فتأملات سيف المري هي أعظم أدواته في الوصول إلى دقة التصوير،و ينطلق بدءاً من الواقع الخارجي للالتحام مع الواقع الداخلي،وفي إبداعه الشعري،وتصويره يتعانق المرئي المحسوس مع المعنوي الأثيري خلفه، والمألوف مع الغريب المجهول،فهو يخلق غلالة شفيفة تلف الصورة بجو يستثير الدفين، وينفذ إلى أعماق الذات، والمتأمل في شعره يُلاحظ أن علاقته بالتراث علاقة وطيدة حيث يستمد مصطلحاته من أهم المصادر التراثية،ويتعامل معها، ولاسيما الموروث الشعري العربي القديم.

لقد شيد الشاعر جسور تواصل وطيدة مع تراثه العربي،حيث إنه ينظر إلى هذا التراث بحسبانه مصدر إلهام، وإيحاء مهم لا غنى للشاعر عنه،وعلاقة

سيف المري بالتراث لا تقوم على التقليد، وإعادة إنتاج التراث كما هو،بل تقوم على التفاعل العميق مع عناصره،ومعطياته، وذلك بغرض تطويعها، وتجسيدها في قصائده، واستغلال طاقاتها، وإمكاناتها الفنية للتعبير عن هواجسه، وإيصال أبعادها النفسية، والشعورية إلى المتلقي،فالتراث يعد«بمصادره المختلفة منجم طاقات إيحائية لا ينضب له عطاء،فعناصر هذا التراث، ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر، وأحاسيس لا تنفد،وعلى التأثير في نفوس الجماهير،ما ليس لأية معطيات أخرى يستغلّها الشاعر،حيث تعيش هذه المعطيات التراثية في أعماق الناس تحفّ بها هالة من القداسة، والإكبار،لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري، والوجداني،ومن هنا فإن الشاعر إذ يتوسل إلى إيصال الجوانب النفسية، والفكرية لرؤيته الشعرية عبر جسور من معطيات هذا التراث،فإنه يتوسل إلى ذلك بأكثر الوسائل فعالية، وقدرة على التأثير، والنفاذ،إضافة إلى أن استخدام التراث يُضفي على العمل الشعري عراقة وأصالة،ويمثل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر،وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة،كما يُكسب الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول،حيث يجعلها تتعدى حدود الزمان والمكان،ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر،وتعامل الشاعر مع التراث لا يعني نقله كما هو، أو إعادة صياغته، أو تقليده،فلا ريب أن هذا لا قيمة له،وإنما يعني أن يقوم الشاعر بتوظيف هذا التراث توظيفاً من شأنه أن يعينه على الإفصاح عن تجربته المعاصرة، وتجسيد رؤيته الجديدة»(14).

وبراعة الشاعر سيف المري تتجلى أساساً من حيث مقدرته على تشكيل النصوص التي أتيح له تمثلها في أطوار سابقة من تكوينه الثقافي نصاً جديداً يُضفي عليه بصماته الخاصة،ولمساته الجمالية التي تزيده عُمقاً، وجمالاً،كما هو الشأن مع هذا المقطع من قصيدة«في محراب التفكر»:

قفْ بالطلول وحيّها تبجيلا
وأَطِلْ على أحجارها التقبيلا
وامسح بعارضك التراب تذلُّلاً
لأحبةٍ كانوا بهن حلولا

رسمٌ لليلى أخلقته يدُ البلى
فكأنه ذكر القرون الأولى
لعبت به هوج الرياح فخلّفت
في ربعِهِ طَلَلاً يلوح محيلا
فاذرف عليه من الشؤون ووبلها
مطراً يفيض تأسّفاً وعويلا
فالدمع لا يقضي حقوقك صبه
ما لم يبرد في حشاك غليلا(15).

لقد أفاد شاعرنا من التراث في إغناء شاعريته سواءً على المستوى الفني،أو المستوى الفكري،والدارس لشعره يلاحظ أنه قد تأثر بمصادر تراثية عديدة،دينية،وأدبية،وتاريخية،كان لها الأثر الكبير في تعميق تجربته الشعورية ،وإرهاف أدواته التعبيرية،يقول في قصيدة«يوم العُلا»:

أبصرتُ والشوقُ يطويني وينشُرُني
كتائبَ الفَتْحِ يَحذو عِزَّها الَعرَبُ
يا مَنْ رأى أُمةً سَمْحاءَ غايتُها
نَشْرُ الهدايةِ ما جاروا وما نَهَبُوا
كانوا هُداةً دُعَاةً مُرْشِدينَ إلى
مَنَاهِلِ النورِ حيثُ الرِّيقُ الخَصِبُ
قفْ بي على رَبْعِ قومي كي أُسائِلَهُ
مازال لي فيه مُذ بانَ الصِّبا أربُ
فَيَا طُلولاً على التاريخِ شاهدةً
هلاّ تَحرَّك فيكِ الصَّخْرُ والخَشَبُ
فإنّ لي بينَ أطباقِ الثّرى عوضاً
عَمّنْ أهينوا فلا ثاروا ولا غَضِبُوا
أَكَادُ أُبصرُ فيكَ القومَ تَحمِلُهم
سوابقُ الخيلِ نحوَ الفتحِ قد ركبُوا (16).

ولعل استمداده من الموروث الديني، والشعري العربي التليد في العصرين الجاهلي، والأموي،إذ نلاحظ تناصه في الكثير من قصائده مع شعراء من العصرين المذكورين بوجه خاص، واستخدامه له،هو أظهر صور تعامله مع التراث،فتتجلى طبيعة ارتباط الشاعر بماضيه،ويبرز مدى تفاعله معه،وقدرته على توظيفه،وتطويره،والإضافة إليه،وتبدى استغلال الشاعر لهذا التراث في جملة من قصائده،وقد دعم الموروث الشعري، والإسلامي الشاعر سيف المري في تجربته الشعرية والفنية الراقية،ووفر له عدداً غير قليل من الوسائل الفنية الغنية بالطاقات الإيحائية،وكان أكبر عون له على الإبانة عن مواقفه ،وعواطفه في توظيفه للكثير من الألفاظ التراثية،وكذلك في استدعائه لعدد من الشخصيات الدينية كشخصيات الأنبياء ،وممازجته بينها، وبين أحداث وقعت،مثل قوله في قصيدة«النخلة»:

هي نِعْمةُ الرحمن فينا لم تَزَلْ
قالتْ بِهذا الشِّرعَةُ السَّمحاءُ
أعَلِمْتَ عن خَبرِ المسيحِ وأُمِّهِ
لمّا أَتَاها المولدُ الوَضَّاءُ؟
وتساقَطَ الرُّطَبُ المُباركُ عِندما
هَزَّتْ بِجِذْعِ النخلةِ العَذْراءُ
نِعْمَ العَطيَّةُ من إلهٍ واهبٍ
عَظُمَتْ لهُ الآلاءُ والنَّعْمَاءُ (17).

من خلال هذا المقطع يستدعي الشاعر سيف المري قصة مريم العذراء،وعيسى عليه السلام عندما ذهبت إلى النخلة، ويُذكرنا بقوله تعالى:﴿ وَهُزِي إِليكِ بِجِذعِ النَّخلَةِ تُساقِط عليكِ رُطباً جنِيًّا﴾ (18).

ويقول في قصيدة:«شهر الهدى والنصر» مُستحضراً شخصية رسولنا الكريم محمد–صلى الله عليه وسلم–:

خير الأُلى والمصطفى والمُجتبى
يكفيه من مولاه حسن ثنائِهِ
من مثل أحمدَ في عظيم صِفاتِهِ

في خُلْقِهِ أو جودِهِ وسخائـِهِ
في صَدقِهِ في رِفقِهِ في عدلِهِ
بين الورى في حلمه وحيائِهِ
قد كان نُوراً في جبين جدوده
في السادةِ الأطهارِ من آبائـِهِ
وأتى اسمُهُ في الكتب تترى آيُها
عن وصفِ شيمته وعن أسمائِهِ
حملتهُ آمنةٌ المطهرُ حملُها
وتشرفتْ بجلالِهِ وبهائِهِ
حملتْ فما وجدتْ لهُ ألماً ولاَ
نصباً ولا كرباً لحين لقائـِهِ(19).

وفي جملة من قصائد الشاعر نلفي إحالات إلى مصادر تراثية،ولاسيما قصائده ذات البعد الديني،والفلسفي الحكمي ،وهذه الإحالة تظهر على مستوى الدلالة والرؤية،ومثال ذلك قوله:

من شيّد السبع الطباق بأمره
وأقام فيها حكمه المفعولا
فارجع بها البصر الذي أوتيته
لك ينقلب متحسراً مخذولا
وانظر بدائع خلقه في الأرض كم
آي أقام بها عليه ذليلا (20).

والشاعر سيف المري يتشرب غير قليل من مفردات القرآن الكريم،و هذا ما يظهر في تراكيبه، وأساليبه البيانية،وفي الأبيات السالفة يبدو متأثراً بقوله تعالى في سورة المُلك:﴿ فَارجِعِ البَصَرَ هل ترى من فُطُور،ثم ارجِعِ البَصَر كَرتَينِ يَنَقلِب إلَيكَ البَصَرُ خَاسِئاً وهو حسيرٌ ﴾ (21).

وللقرآن الكريم دور بارز في تشكيل منطلقاته الأساسية،و في تفسير الأشياء من حوله، ورؤيته للقضايا والأحداث«ومن ناحية أخرى،فإن علاقة الشاعر

المتينة بالقرآن الكريم تتدرج ضمن رؤية فكرية تتصل بمفهومه للتجديد،وأنه ينبغي أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل الثقافة العربية الإسلامية،وذلك باستيعاب تراثها ومحاولة فهمه، وسبر أغواره، وربطه بالحياة المعاصرة، وعليه فإن العودة إلى القرآن والحديث النبوي الشريف تمثل العودة إلى المنابع الأولى التي انشقت عنها هذه الثقافة،وتشكل تراثنا في إطارها،إضافة إلى أنهما ينضمان إلى أعظم طاقة روحية، وفكرية، وفنية،يمكن أن يستغلها الشاعر لتحقيق التواصل المنشود بين الشعر والجمهور»(22).

وتتضح للقارئ مقدرة الشاعر على الاقتباس،والتوظيف فنياً،ولاسيما عندما يكون بصدد معالجة قضية دينية،أو أخلاقية،أو بصدد مدح خير الأنام–صلى الله عليه وسلم–،يقول الشاعر سيف المري في قصيدة:«في محراب التفكر»:

خلق الملائك عابدين له فلا
يعصونه أو يفترون قليلا
من راكعين وساجدين لوجهه
متبتلين مسبحين طويلا
وقضى لآدم أن يكون،وصاغه
بشراً وفضّل نسله تفضيلاً
وهدى ونزل آيه صدقاً وما
أحد من الرحمن أصدق قيلا
في أنه رب الخلائق وحده
فعليه كن متوكلاً توكيلا
من آيه كان الزبورُ مُباركاً
والصحف والتوراة والانجيلا
ثم الكتاب الناسخ النور الذي
أتاه أحمد حين جاء رسولا
يهدي به أهل الرشاد إلى الهدى
فهو النجاةُ لمن أراد سبيلا (23).

وقد جاء تعامل الشاعر مع التراث،كما يمكن أن يلاحظ ذلك دارس شعره من خلال عدة مستويات،من بينها مستوى الاقتباس المجرد،حيث يقوم الشاعر باقتباس بعض المفردات،والألفاظ من الموروث الإسلامي، ولاسيما القرآن الكريم،ولكن دون أن يعمد إلى توظيف هذه المقتبسات فنياً،حيث يأتي استعمالها في حيز دلالاتها، وإيحاءاتها ذاتها،وغرضه من ذلك هو جعل النص الشعري أكثر ثراءً،ومد المعنى، واستكمال أبعاد الصورة،وفي بعض الأحيان يكون استحضاره للتراث بهدف التذكير بمضمون ذلك الأثر،أو الحكمة،أو الحدث التاريخي، وكذلك ليكون حياً في النفوس،ومُطبقاً في واقع الحياة،وأحياناً يهدف الشاعر من خلال توظيفه للتراث إلى تسليط الضوء على قضايا معاصرة،وهذا ما تجلى مع قصيدة«يوم العُلا» التي ألقاها في حفل تكريم مؤسسي ندوة الثقافة والعلوم بمدينة دبي الزاهرة:

من وَحَّدُوا الأرض في مُلْكٍ وفي مَلِكٍ
ومَنْ بساحَتِهم لا تنزِلُ النُّوبُ
وها نَحنُ ذا قد غَدَونا بعْدَهُم فِرَقاً
شَتَّى يُحرِّكُنا الشيطانُ والذَّهَبُ
فإن طمِعْنا في أبناءِ جلدتِنا
وإن وَهَبنا فللعادين ما نَهبُ (24).

ومن الظواهر التي نُلفيها في شعر سيف المري أسلوب التقابل،والتنافر،والتضاد،وهذا ما لحظناه في مجموعة من القصائد،وأسلوب التنافر ناتجٌ في غالب الأحيان عن ولوع الشعراء بخلق تنافر بين عناصر الصورة«بحيث يكون الأثر النفسي لأحد طرفي الصورة مناقضاً لأثر الطرف الآخر،وهذا التناقض من أهم العناصر المولدة لديناميكية الصورة،والقصيدة التي تصبح أداة لتجسيد الصراع بين القوى البشرية، ومصالحها في الواقع.وقد استخدم الشاعر القديم التقابل،والتضاد،ولكن في حدود الجانب الحسي،فهو يقتصر في مفارقاته على تضاد الألفاظ،أما الشاعر الحديث، فقد ركز في مقابلاته على العناصر الشعورية والنفسية ليجسد من خلالها طابع الصراع الذي هو سمة من سمات الحياة المعاصرة،وانعكاس لنقائض الذات،وخلاصة جدلها بالواقع، والزمن»(25).

يقول الباحث عثمان حشلاف:«إن أخص ما يميز صور التقابل، والتنافر والتضاد،هو الصراع، والتجاذب، والتوتر الناتج عن تناطح كتلتين أو نزعتين في الإنسانية،نزعة الخير ،والمحبة ،والتسامح ونزعة الشر ،والانتقام، والعدوان»(26).

وإذا نحن تعمقنا فهم نصوص الشاعر سيف المري الشعرية التي يتجلى فيها التضاد،وتقوم بنيتها على أساس التقابل، والتنافر،فإننا نجد أن معظمها تشترك في التعبير عن التوتر، والشجن الحاد،وتصف الحالة النفسية المتأزمة، وأحياناً لا يقف الشاعر عند الجانب السطحي للألفاظ، وإنما يتجاوز ذلك الإطار الخارجي لاختراق الطبقات الدلالية العميقة، والغائرة في النفس فيصبح التقابل،تقابل قضايا، وأبعاد،لا تقابل ألفاظ، ومفردات،كما يظهر التكرار اللفظي في شعره، وهو من أساليب الغنائية، والشجو،والذهول، ويبدو الشاعر في كثير من الأحيان، وكأنه ينقل لنا أنغاماً نفسية مترددة،يقول في قصيدة «الحب نور»:

أَخبِري الليلَ وحُزْنَ اللَّيلِ عنِّي
فأنا ما زِلتُ مأسُوراً بظَنِّي
مُجْهَداً أَحْمِلُ آلامي و حُزني
نَظرةٌ منك لباقي العُمْرِ تُغني
وارْفعي ما بينَنا هذي السّتور
أطْفئي المصباحَ إن الحُبَّ نور
آهِ ما أحلاكِ لكنَّك مُرَّة
لونُ خَدَّيك من الفتنةِ جَمرة
باعَ فيكِ الصَّبُّ بالخُسرانِ عُمره
نسي الضَّحك وساعات المسرَّة
ما تبقى غير أنفاسٍ تثُور
أَطْفِئي المصباحَ إن الحُبَّ نور (27).

ويقول في قصيدة «الفريدة»:

إنّ طبع الإنسان يغلب مهما
حاول المستحيل والطبعُ أصْلُ

جزت والحبُ جنةٌ وجحيم
ما لضدَّيهِ،لو تأملت،فَصْلُ
فهو نارٌ إن شئت أو هو نورٌ
وهو ظلمٌ محضٌ كذا هو عَدْلُ
غير أن العيش الخلي
من الحب تافه ومُمِلٌّ (28).

إن أغلب القصائد تجسد هواجس الشاعر الذاتية،وتصور أحواله النفسية،وانفعالاته، وتجاربه الخاصة المستمدة من واقع الحياة بإكراهاتها،ومظاهرها المتعددة، ويتجلى من خلالها وهج المعاناة، وحرارة الصدق،والحساسية المرهفة،فطقس الحزن، ومرثية الذات، أهم تجليات الخطاب الشعري عند سيف المري،وتتضح لنا مأساته بوضوح ،ولاسيما عندما يُعبر عنها بأسلوب واقعي مباشر،يبتعد فيه عن الإيحاء،يقول في قصيدة:«ظل وماء»:

أَتُراني سوفَ أمْضي العُمرَ وَحدي؟
في بُكاء ونداءٍ ليسَ يُجدي
أَتُرى أقْبلُ يا دَهرُ التَّحدِّي
تَنقَضي الأيّامُ تَتلو بَعضَها
تُسرِعُ الخَطوَ تِبَاعاً رَكضُها
نَحوَ مَجهول بعيد
وأَنا أَجري مع الدّهرِ وحيداً
أَخبروني عن حياتي
فأنا أجْهلُ ميلادي كَجَهلي بِمماتي
وأنا أَبْحثُ عن ظلٍّ وماء... (29).

و يتجلى الحزن والمأساة في الكثير من قصائده، إلى درجة أن شاعرنا الرقيق يقول:

تمنيتُ في العُمرِ ساعة أُنسٍ
تُخفف عن خاطرٍ متعبٍ

وعن لحظةٍ خُبِّئت في الزمانِ
بـها بسمةٌ للفتى الأشيبِ
فأين الهوى وحديث القلوب
أراها كأن لم تكن مطلبي (30).

و في بعض القصائد يستحضر الشاعر سيف المري الألفاظ الدالة على القوة، والرفض،وذلك بغرض إيصال رسائل توقظ النائمين من سباتهم،وتنبههم، وتنقل التجربة،وتكون ذات قدرة على التأثير،وتصل في بعض الأحيان إلى حد الانتقاد المباشر، واللاذع، والهجاء المقذع،مثل قوله في قصيدة «في غمرات النوم»:

اللّيلُ مَرَّ فأيْقِظُوا جُثَث النِّيام
ما زالَ رغم الشَّمسِ في وطني ظلام
يا تائهين
الصُّبحُ أنْتم لو وعيتم ما أقول
الصُّبحُ أنْ تحيا النُّفوسُ من السُّبات
الصُّبحُ آتٍ
رغم كل النائمين
الصُّبحُ آتٍ
كم تَجلِدون العقلَ بالأفكارِ كم تتمردون
وطني فَديتُك بالذي لا يملكون
حُرِّيتي رُوحي
وَهَبْتُك كُلَّ شيء
خيلٌ أتت من مطلعِ الشَّمسِ المُنيرة
كَانت لِقومٍ فاتحين
كانت لبدوٍ عَلَّمُوا الدُّنيا الحضارة...(31).

والمُلاحظ أن الشاعر سيف المري يميل في قصائده إلى التجريد والتعميم، أكثر من ميله إلى التخصيص، فحضور المكان باسمه الحقيقي في شعره قليل جداً ، وكذلك الشأن بالنسبة إلى حضور اسم المحبوبة فهو غير موجود،ولو قام

ناقد بدراسة قصائده دون سابق معرفة بهويته، وبتاريخ حياته، لما استطاع أن يتكهن بسهولة من أي بلدٍ هو،فهو لا يذكر الأمكنة بأسمائها،كأمكنة خاصة ومتميزة،وحتى في قصائده الوطنية،لم يُسم الوطن باسمه بل عبر عن مدى حُبه وعشقه لوطنه الإمارات العربية المتحدة عن طريق التعميم، وقصائده الوطنية تصلح لأن تُنشد،وتنطبق على جميع الأوطان في العالم نظراً لشموليتها،وعموميتها،فكل من يتغنى بوطنه يمكن له أن يقول:

وكل شيء أراهُ فهو حليتُهُ

قد صاغها وكساها ثم ألبسني

حماهُ ربي وأولاهُ عنايتهُ

وزادهُ من عطايا الخير والمنن

بدايةُ الحب كانت منه صادقةً

وسوف أحملها لو ضمني كفني(32).

ولم يحضر المكان باسمه إلا في حالات قليلة جداً،مثل قوله في القصيدة التي يرثي فيها المغفور له بإذن الله صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم:

وبكت دبي زعيمها وعظيمها

لله كيف تُؤبن العظماءُ (33).

فالشاعر يتخطى باستمرار حدود الأشياء الحسية ليصل إلى اللا محسوس،إلى عالم الأفكار، والمشاعر،والمُثُل العُليا،والمُطلق،و لا يهتم كثيراً بتسمية الأمكنة،و لا يركز على تسمية المكان باسمه الحقيقي،أو الحبيبة باسمها،أو أن ينسب التجربة إلى مكان مُحدد يتعرف عليه القارئ دون التباس، فوصف الشاعر للطبيعة كذلك، يمكن أن يتخيله القارئ في أي مكان، أو بقعة في العالم، و هذه الخاصية هي نتيجة منطقية للاتجاه الرومانسي الوجداني الذي تنضوي تحت لوائه تجربة الشاعر المتميز سيف المري،فالوجدانية تسمح بالتجريد،وتفتح آفاقاً للتعميم أكثر من التخصيص، والتحديد المركز،والتجريد والتعميم أمر بديهي،ونُلفيه عند أغلب الشعراء الرومانسيين،يقول الشاعر سيف المري مُعارضاً قصيدة:«زهرة»للأستاذ أحمد خليفة السويدي:

والأقحوانُ نسيمُ الصُّبح يُرقصُهُ
على أهازيجِ طيْرٍ صادِحٍ شَاكي
وقَدْ سَرَى عبقُ الريحانِ تحملُهُ
نسائمٌ ما سرت إلا لتلقاكِ
لولاكِ فاتِنتِي ما هزَّني طَرَبٌ
إلى الزُّهورِ وما أنشدتُ لولاكِ
فلتقبلِي طاقةَ الوردِ التي حَملت
مشاعِري واعطِفِي بالوصلِ رُحمَاكِ
أو فانثُري الزَّهر يا ليلى على جثتي
فإنما أنا من آلافِ قتلاكِ (34).

وأحياناً تظهر الطبيعة في شعره ليست مجرد مادة للتصوير وحسب،بل إنها تعتبر مصدراً للتجربة،ويبدو الشاعر صاحب نظرة متفردة، وخاصة للطبيعة، وله موقفه الفني منها،وهو موقف متميز بحيث يتحد معها، ويعبر من خلالها عن مشاعره،وتبدو مظاهر الطبيعة تجسيداً لأحوال في نفسه،هي لهيبها، وهمومها، وزفيرها، وعويلها ،ودمعها،وحبها المحطم الفاشل،فالطبيعة عش كبير يسكنه الشاعر، ويلجأ إليه:

سائرٌ صَوبَكِ في سُرعةِ نجم
لاحَ في ليلٍ وغاب
كانَ في غاباتِ شوقٍ واخْتفى
نجمُكِ المُشتعِلُ الخطو انْطفى
ثمّ طافت حولهُ الأقمارُ تترى
ترسُمُ الأضواءَ شِعراً
ها هو الشبحُ الموجوعُ يبكي
تتلظَّى جمرةُ الأشواقِ فيهِ
فَخُذِيهِ
قَبلَما تأخذُهُ الرِّيحُ احْضُنيهِ

أو دعيه

فلعلَّ الريح يوماً تُشعلُ الجُذوة فيه

عندما تَرْجِعُ شمس

في نـهارٍ من أزاهيرَ وهَمس(35).

وفي بعض قصائده يحضر الزمن، للتدليل على طول المسافة،أو بعدها، أو شدة الانتظار عندما يكون بصدد الشكوى،وذلك بغرض شذ الانتباه إليه،والتعاطف معه،وإدراك مقدار آلامه، وأشجانه الكبيرة:

عشرون عاماً على وعدٍ قطعت له

يا طول مُطْلك أم يا طول مُصْطبري

فهل تُرى بعد حُسن الصبر سوف أرى

ما كان من وعدها..هل حبها قدري

أم سوف أمضي حياتي راجياً أملاً

مثل السراب أقضي خلفه عُمري (36).

ثالثاً:نتائج الدراسة(الخصائص الفنية لشعر سيف المري):

بعد هذه الوقفة مع شعر سيف المري، من خلال ديوانه الشعري الثاني، المعنون ب: (العناقيد) ،نشير إلى أنها غيضٌ من فيض،وإطلالة عابرة، فما تزال التجربة الشعرية المتميزة لسيف المري بحاجة إلى دراسات أخرى تكشف النقاب عن خصائصه الفنية،فهناك جملة من الظواهر التي تتجلى في شعره،ولم يُسلط عليها الضوء،فالشاعر سيف المري صاحب موهبة فذة، وقريحة وقادة،ويتسم الكون الشعري عنده بالرحابة، والاتساع...

وفي ختام هذه الرحلة الممتعة مع عالمه الشعري الساحر،يجدر بنا أن نشير إلى بعض الملاحظات التي تتصل بالخصائص الفنية العامة لشعره :

1–إن شعر سيف المري شعر رائق الديباجة سلس الأسلوب،وعذب الألفاظ.

2–تمحور الشاعر في قضاياه المطروحة في شعره بين الذاتي ،والموضوعي،إلا أن الجانب الذاتي نال حصة الأسد، وهو أمر معروف ومعهود لدى رواد الاتجاه الوجداني الرومانسي.

3–لم يقتصر شعر سيف المري على أغراض محددة،بل إنه طرق معظم الأغراض الشعرية العربية المعروفة كالغزل العذري،والفخر،والمدح، والرثاء،وأحياناً نجد هذه الأغراض مفردة في قصائد خاصة،وأحياناً نُلفيها في ثنايا قصيدة جمع الشاعر فيها بين عدة أغراض.

4–من حيث القيمة الفنية يظهر شعره في مجمله عميق الدلالة،قليل التكلف،ويتميز بشعور ذاتي صادق،فشعره كان بمثابة مرآة صادقة للأحوال النفسية التي يعيشها الشاعر،كما يتجلى لنا ابتعاد الشاعر عن الغموض، والتهويم،الذي لجأ إليه شعراء هذا الجيل متأثرين بالتجربة الغربية،فشعره يتسم بوضوح معانيه،وصدق عاطفته،وحرارة الشعور. ونجد الشاعر في الكثير من قصائده يتوسل بصور فنية ساحرة،منها ما هو رمزي حديث للتعبير عن قضاياه الشعرية وهو قليل،وأكثرها مما هو بلاغي قديم.

5–نجد في شعر سيف المري الكثير من المعاني مُكررة،ولاسيما في قصائده التي يلقي فيها الضوء على أشجانه،وهواجسه الذاتية،وهذا يعود إلى عفوية الشاعر،وشاعريته الطافحة،وثروته اللغوية الكبيرة،حيث إنه يطرح نفس القضية،بيد أنه يُعبر عنها تعبيراً يختلف عما سبقها اختلافاً جذرياً.

6–وظف الشاعر التراث في الكثير من قصائده،وشيد جسور تواصل وطيدة مع الموروث الشعري العربي القديم ، ويتضح للدارس أن علاقته بالتراث لا تقوم على التقليد،والتكرار، وإعادة إنتاج التراث كما هو،بل تقوم على التفاعل العميق مع عناصره،ومعطياته، وذلك بغرض تطويعها، وتجسيدها في قصائده، واستغلال طاقاتها، وإمكاناتها الفنية للتعبير عن هواجسه، وإيصال أبعادها النفسية والشعورية إلى المتلقي.

7–يظهر للمتأمل في المعجم الشعري لسيف المري أن الشاعر يكثر من انتقاء المفردات من التراث التليد،والممازجة بينها وبين اللغة السائدة في هذا الزمن بغرض تحقيق تواصل سليم مع القارئ،دون إهمال الجانب الجمالي،فسيف المري«يهتم بتصوير المشاعر، والانفعالات من خلال مجموعة كبيرة من الكلمات المحملة بالدلالات الشعورية، والجمالية، التي تتردد كثيراً في معجمه الشعري،وهي ألفاظ تدل

على عمق طبيعة هذه التجربة الوجدانية،مثل:الحب،والنور ،والليل،والمصباح،وحطام،وآلام،والحزن،وأشلاء ، أشكو،العذاب،الروح،العشق،السكون. وهي ألفاظ تثير الشجن الرقيق المُحمل بالعواطف والذكريات»(37).

8-حرص الشاعر على الوزن العمودي في أغلب قصائده، وهذا ما يؤكد علاقته الوشيجة بالموروث الشعري العربي القديم شكلاً، ومضموناً،و يتبدى للدارس عدم تأثره بالتجربة الغربية،وهو ما تجلى في لغته، وفي ألفاظه ،وجمله،التي تعج بالكثير من الألفاظ المستخدمة،والشائعة في شعرنا العربي التليد،فسيف المري يحن إلى الأصالة العربية حنيناً عارماً،ومن خلال لغته التراثية النقية، فإنه يُقدم لنا أسلوباً شعرياً مُتميزاً كل التميز عن السائد،وأغلب الصور الشعرية التي نُلفيها في قصائده مُستمدة من تجربة كبار شعراء العربية القُدامى،فهو يقدمُ «أسلوباً شعرياً متمايزاً في المشهد الأدبي العربي،وهو تفرد إشكالي إلى حد بعيد،لتعدد الآراء حول هذا النهج الشعري الذي طغى عليه الشعر الحديث المتأثر بالشعر الأجنبي،لهذا نجد أن وجود أسلوب يخرج من عباءة الشعر الكلاسيكي حاجة ضرورية لسد فراغ لا يستهان به في المشهد الشعري العربي المعاصر»(38).

9 –بالنسبة إلى أبعاد الزمان والمكان في شعر سيف المري، فحضور المكان باسمه الحقيقي في شعره قليل جداً،فشاعرنا يتخطى باستمرار حدود الأشياء الحسية ليصل إلى اللا محسوس،إلى عالم الأفكار، والمشاعر،والمُثُل العُليا،والمُطلق،و لا يهتم كثيراً بتسمية الأمكنة،و لا يركز على تسمية المكان باسمه الحقيقي،أو الحبيبة باسمها،أو أن ينسب التجربة إلى مكان مُحدد يتعرف عليه القارئ دون التباس، ووصف الشاعر للطبيعة كذلك يمكن أن يتخيله القارئ في أي مكان، أو بقعة في العالم، و هذه الخاصية هي نتيجة منطقية للاتجاه الرومانسي الوجداني الذي تنضوي تحت لوائه تجربة الشاعر سيف المري،فالوجدانية تسمح بالتجريد،وتفتح آفاقاً للتعميم، أكثر من التخصيص والتحديد المركز،وبالنسبة إلى الزمن، فسيف المري يقتبس من الزمن إيحاءاته،ويوظفها في قصائد بديعة مستوحياً من خلاله دلالات، وجماليات ذلك الزمن،كما يحضر في بعض القصائد كدلالة على طول المسافة،أو بعدها، أو شدة

الانتظار عندما يكون بصدد الشكوى،وذلك بغرض شذ الانتباه إليه،والتعاطف معه،وحتى يُدرك المُتلقي شدة معاناة الذات الشاعرة.

10-يُلاحظ الدارس في الكثير من قصائد الشاعر التي تُعبر عن هواجسه العاطفية،وتجاربه الذاتية أنها تتخذ من الطبيعة مُحركاً لها،ويتضح أن الطبيعة كانت عنصراً مُحركاً لذكريات الشاعر، وهي التي دفعت به إلى الإفضاء بمواجعه، وأشجانه،ومن هنا فالكثير من قصائده تجمع بين الجانب العاطفي الذي يبث فيه الشاعر شكواه للمحبوبة،والجانب الوصفي الذي يصور من خلاله مشاهد الطبيعة الخلابة.

11- أكثر الشاعر من توظيف عناصر الطبيعة في شعره ،ولكثرة توظيفه لها، فقد أضحت على يديه رموزاً متباينة للحزن، والفرح، والأمل، واليأس،والكثير من مشاهد الطبيعة التي نلمحها في شعره هي مشاعر مطلقة،ويبدو في بعض الأحيان حضورها مُكثفاً ،حتى لا يكاد يخلو بيت منها في بعض القصائد،ويظهر أنها قد تدفقت تدفقاً تلقائياً على الشاعر،فتؤدي قيمتها الفنية في التعبير عن المعنى خير أداء، كما يتجلى للمتلقي تجانس الألفاظ، وتآلفها، وامتزاجها في دلالتها على المعاني،وتبدو محكمة، ومترابطة، ومتلاحمة،فندرك حسن إحكامه في بناء عباراته على نحو فني دقيق.

12-يتجلى التضاد في الكثير من نصوصه الشعرية، ويظهر التكرار اللفظي في بعضها ،وأغلب نصوصه التي يظهر فيها التضاد تقوم بنيتها على أساس التقابل والتنافر،ونجدها تشترك في التعبير عن التوتر، والشجن الحاد،وتصف الحالة النفسية المتأزمة،وأحياناً لا يقف الشاعر عند الجانب السطحي للألفاظ، وإنما يتجاوز ذلك الإطار الخارجي لاختراق الطبقات الدلالية العميقة، والغائرة في النفس فيصبح التقابل،تقابل قضايا ،وأبعاد،لا تقابل ألفاظ، ومفردات،وتظهر في لغته خاصية المفارقة ،وقد أسهمت المفارقات التي أدرجها الشاعر في تكثيف المعاني،وإبراز التحولات، والفوارق،والتأثير في المتلقي،واستلاب اهتمامه.

13-تظهر في الكثير من قصائده الموسيقى الشعرية كعنصر إيحائي متم لتجربة الشاعر الرومانسية،فالنغم الموسيقي يبث النشوة،ويُضفي الذهول،ويضع القارئ في حالة من التجاوب، والانسجام،والتقبل، والطواعية، وتتولد الموسيقى من طبيعة الوزن

الخفيف الذي لا ينطوي على إيقاع العنف والدوي،بل إنه ينداح بتمهل، وهدوء، وتؤدة، تخلق نوعاً من التآلف مع طبائع التجربة المشوبة بقليل أو كثيرٍ من الأشجان، والآلام.

14-إن أغلب الجمل والتراكيب الشعرية التي نجدها عنده تجسد إحساس إنسان مُرهف«تتجسد فيه معاني الطهارة،والجمال، وأحلام الطفولة البريئة،وذكريات أيام الصبا الوردية،وهي سمات المعجم الشعري للشعراء الوجدانيين أصحاب اتجاه الحب العذري،لكن الشاعر ينتقي جملة ألفاظه فيخلع عليها دلالات جديدة تُمثل إحساسه العصري الذي يُميزُ أسلوبه بطابع التجديد، والابتكار، والحداثة، وهي سمات تميز معجمه الشعري، حيث ينهض بناء معماره اللغوي على مشاهد حية يُجسدها صدق العاطفة، وحرارة الإحساس، وهذه لمسات وجدانية مُبتكرة تُضاف إلى رصيد الشاعر،على أن تجربة الشاعر العربي سيف المري تتجاوز حدود المألوف،لتنطلق، وتتحد مع أشواق الإنسان العربي، وإحساسه بمشكلاته اليومية، وتتوق معه إلى آفاق رحبة من الحرية، والعدالة، وهذه إضافة حقيقية للشعرية العربية،يتميز بها هذا الشاعر المتميز،لتكتب حروف اسمه بين الشعراء المُجددين للشعرية العربية»(39).

وإننا لنعترف في الأخير أن قراءتنا هذه لتجربة الشاعر المتميز سيف المري، هي مجرد محاولة للاقتراب من الكون الشعري لديه، ولا ندعي الإحاطة بجميع الجوانب،وإنما حسبنا أننا لفتنا النظر إلى بعض الخصائص العامة التي يتميز بها شعره،فالحديث عن تجربته حديث خصب، ومتشابك ،ومتعدد الرؤى والأبعاد،إلا أننا نرجو أن تكون قراءتنا منطلقاً لأبحاث ودراسات أخرى تكشف النقاب عن خصائص، وجماليات أخرى في شعر سيف المري الذي ما يزال يستحق الكثير من الدراسات، والأبحاث.

الهوامش:

(1) خليل الجيزاوي:الاتجاه الوجداني في شعر سيف المري،مجلة الرّافد،العدد:137،محرم1430هـ،جانفي2009م،ص:112.

(2)د. السعيد بوسقطة:مدارات جمالية في ديوان «الظلال المكسورة»،ينظر:مقدمة ديوان:«الظلال المكسورة» لإدريس بوديبة،منشورات بونة للبحوث والدراسات،عنابة،الجزائر،2008م،ص:08.

(**)للتوسع يُنظر حوار الأديب الشاعر سيف المري،مع الأديبة غالية خوجة،حوار منشور في الموقع الإلكتروني:www.marabicfriends.com.وينظر كذلك الموقع الإلكتروني:http://www.bany- yas.com/vb/showthread.php?t=116

(3)شوقي بزيع:سيف المري شاعر الغنائية الوجدانية الجديدة،جريدة الحياة،22أبريل2009م، ينظر الموقع الإلكتروني للجريدة:

http://ksa.daralhayat.com/ksaarticle/10253

(4)واصف باقي:عناقيد الشعر بلون الحياة،مجلة الرّافد،العدد:137،محرم1430هـ،جانفي2009م،ص:118.

(5)عبده وازن:قراءة في ديوان سيف المري،الأغاريد التي تُسمع، والعناقيد التي تُذاق، مجلة دُبي الثقافية،العدد:49،يونيو2009م،ص:115.

(6)د.السعيد بوسقطة:المرجع نفسه،ص:09،وينظر كذلك الدكتور بشير القمري:مجازات-مقاربات نقدية في الإبداع العربي المعاصر-،دار الآداب،بيروت،ط:01، 1999م،ص:44.

(7) د.محمد الصادق عفيفي:النقد التطبيقي والموازنات،منشورات مكتبة الوحدة العربية،الدار البيضاء،المغرب الأقصى،1972م،ص:67.

(8)سيف محمد المري:الديوان الثاني العناقيد،ط:01 ،2004م،ص:03.

(9)شوقي بزيع:سيف المري شاعر الغنائية الوجدانية الجديدة،جريدة الحياة،22أبريل2009م، ينظر الموقع الإلكتروني للجريدة.

(10)سيف محمد المري:الديوان الثاني، العناقيد،ط:01،2004 م،ص:05 وما بعدها.

(11)ديوان العناقيد،ص:16.

(12)ديوان العناقيد،ص:18.

(13)ديوان العناقيد،ص:36 وما بعدها.

(14)إبراهيم الكوفحي: توظيف الموروث الديني في شعر حيدر محمود،مجلة دراسات،مجلة علميّة محكّمة تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية،المجلد:28،عدد:01،شباط 2001م،ذو القعدة1421هـ،ص:207.

(15)ديوان العناقيد،ص:157.

(16) ديوان العناقيد،ص:152،و153.

(17) ديوان العناقيد،ص:40.

(18) سورة مريم،الآية:25.

(19) ديوان العناقيد،ص:164،و165.

(20) ديوان العناقيد،ص:159.

(21) سورة المُلك،الآية:3 و4.

(22) إبراهيم الكوفحي:توظيف الموروث الديني في شعر حيدر محمود،المصدر السابق،ص:209.

(23) ديوان العناقيد،ص:160 وما بعدها.

(24) ديوان العناقيد،ص:155.

(25)عبد الحميد هيمة:البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر–شعر الشباب نموذجاً–،منشورات دار هومة،الجزائر،ط:01،1998 م،ص:14 وما بعدها.

(26) عثمان حشلاف:التراث والتجديد في شعر السياب،ص:121،نقلاً عن عبد الحميد هيمة:البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر–شعر الشباب نموذجاً–،ص:14.

(27) ديوان العناقيد،ص:9–11.

(28) ديوان العناقيد،ص:70.

(29) ديوان لعناقيد،ص:104–106.

(30)ديوان االعناقيد،ص:21.

(31)ديوان العناقيد،ص:110–112.

(32) ديوان العناقيد،ص:120.

(33) ديوان العناقيد،ص:114.

(34) ديوان العناقيد،ص:81و82.

(35)ديوان العناقيد،ص:94–96.

(36)ديوان العناقيد،ص:61.

(37)خليل الجيزاوي: الاتجاه الوجداني في شعر سيف المري ،المرجع السابق،ص:115.

(38) سامر أنور الشمالي:الشاعر سيف المري نفحات من الأصالة العربية،صحيفة العروبة،يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة، دمشق، سوريا، العدد:13053،يوم:2009/6/18م،ينظر الموقع الإلكتروني للجريدة:

http://ouruba.alwehda.gov.sy/__archives.asp?FileName=605826625
20090614223832

(39) خليل الجيزاوي:المرجع السابق، ص:116.